اكبر الرحلات الجوية الحديثة

١

رحلة البلون تورجن من رومية الى الاسكا

مارًّا فوق القطب الشمالي

— تتمة الرحلة —

مكثنا ثلاثة ايام في سبتسبرجن اعددنا في اثنائها معدات البلون للمرحلة الاخيرة من رحلتنا الطويلة وفي مساء ١٠ مايو سنة ١٩٢٦ كان البلون وكل رجال البعثة على اهبة السفر. وكنا قد وضعنا في الاحواض سبعة اطنان من البنزين و٨٠٠ رطل من الزيت تكفي لاجتياز ٤٣٠٠ ميل في جوّ هادئ اذا كان متوسط سرعتنا ٥٠ ميلاً في الساعة. واخذنا ايضاً الف ومائة رطل من الطعام تكفي ١٦ شخصاً خمسين يوماً وكان اكثرها من الشوكولاته واللحم المقدّد واللبن والمربّى والبن والمكسّرات. واعددنا ايضاً كل ما يحتاج اليه روّاد القطبين من المعدات كالخيم والمزاج واكياس الفرو والبنادق وما اليها حتى اذا حدث لنا ما حملنا على النزول في الاصقاع المتجمدة الثائية كان لنا ما يمكننا من الرجوع الى اليابسة والعمران سالمين

وكنا قد ضربنا الساعة الاولى من صباح يوم ١١ مايو موعداً لقيام البلون من سبتسبرجن ولكن ريحاً شرقية هبّت فجعلت اخراج البلون من مرفئه على شيء من الخطر فاضطررنا ان نتأخر بضع ساعات عن ميعادنا المضروب

وفي الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين من ١١ مايو — رقت غريتشن — اخفّ البلون يرتفع بنا عن الارض ففكنا ارفاق الباقون تحية هزّت اعطافنا ولما صرنا على مائة قدم من سطح الارض اسرعنا حركة المحركات واتجهنا الى القطب ونحن نرتفع في الجو رويداً رويداً حتى بلغنا ارتفاع ١٣٥٠ قدماً عن سطح البحر

كان الهواء معتدلاً والجوّ صافياً والشمس ساطعة تنعكس اشعتها الذهبية على قمم سبتسبرجن المغطاة بالثلج فاخذتني نشوة السرور بعد ما قضيت ليلي متعباً حزيناً وجرى الدم في عروقي بعد ما كاد البرد القارس يجمده. ولما استوينا في الجوّ سار البلون بنا بقطع ستين ميلاً في الساعة ووجهته القطب الشمالي

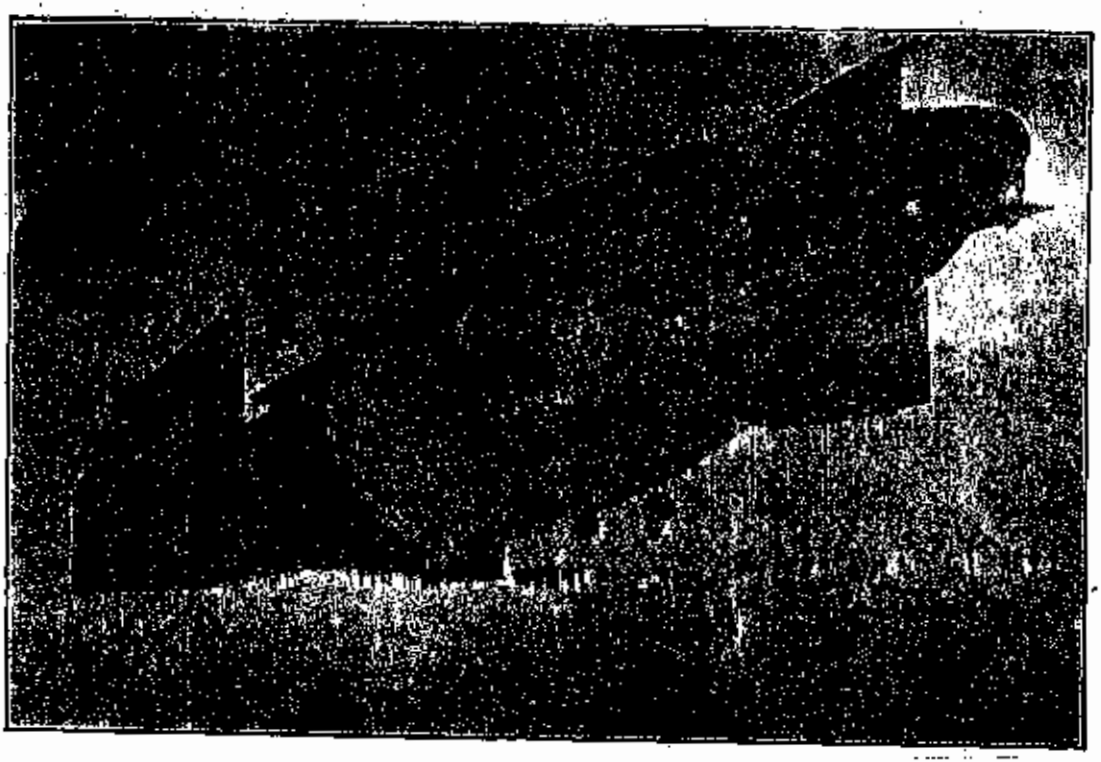

البالون تورج يدخل الى مرقاه ويلاحظ عدد الرجال الذين يتولون هذا العمل

ملتقطت فبراير ١٩٢٨

امام الصفحة ١٩٢

لما برحنا سبتسبرجن كنت ثابت العقيدة اننا لن نجد صعوبة ما في اجتياز المسافة الى القطب وهي ثمانمائة ميل لانهُ لم يكن يحتمل ان يتجهم الجوّ بعد صفائهِ في اثناء طيراننا وهو لا يستغرق اكثر من ست عشرة ساعة

ولكن ماذا يقع لنا بعد اجتياز القطب الى الاصقاع المتجمدة وراءهُ ؟ ايبقى الجوُّ صافياً مصافياً ام تهب الرياح وتثور العواصف فتقاذفنا وتتلاعب بنا كما تشاء ؟ أنحظى برؤية سلسلة الجبال التي ظنَّ الكومندر بيري انهُ رآها عند الافق حين بلغ القطب الشمالي ؟ اين يتسنى لنا النزول الى الارض وحتى ؟ وماذا يكون مصيرنا بعد نزولنا ؟ هذه هي المسائل التي كانت تدور في عقل كلٍّ منا لكننا تركناها للقدر يجيب عنها الجواب الوافي في المستقبل القريب

بعد مسيرة ساعتين من خليج الملك بسبتسبرجن نظرنا الى البحر تحتنا فرأينا قطع الجليد الطافية منثورة هنا وهناك ثم لما اقتربنا قليلاً الى القطب تماسكت اجزاء الجليد حتى تغطي بها سطح البحر وكنا اولاً نرى في الجليد بقعاً من الماء ثم زالت كلها واصبح الجليد غطاء واحداً يغشى سطح البحر تخترقهُ الحزون والاودية الضيقة . وكنا قبل الاقتراب من هذا الغطاء الجليدي نرى من حين الى آخر بعض الاسماك في الماء ثم رأينا آثار بعض الدببة القطبية على الجليد ولكن لما بلغنا الدرجة ٨٤ من العرض الشمالي لم نرَ اثراً ما للاحياء وامتدت امامنا مفازات الجليد الى الافق قاعة باردة جرداء

وفي الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين توقف المحرك الايسر عن

[illegible] سطحنا

الامر في الحال بعدما بذلنا جهداً كبيراً

ولما دوّنا الارصاد الجوية في الساعة الثامنة والربع مساء ثبت لنا اننا كنا على ارتفاع ١٦٥٠ قدماً وسرعتنا ٣٧ ميلاً بريًّا بسبب ريح كانت تهب في وجهنا فنزلنا الى علو ٥٠٠ قدم آملين ان تكون الريح اخف هبوباً هناك ثم ارتفعنا الى علو ١٣٢٥ قدماً ولكن عبثاً ضاع جهدنا في الهبوط والصعود . لان اليوم اخذت تتلبد عند الافق ولم يمض ربع ساعة الاَّ والجوّ مكفهر والسماء تنذر بعاصفة شديدة قريبة الهبوب وهبطت درجة الحرارة الى ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

وفي الساعة العاشرة والدقيقة السابعة اقتربنا من الدرجة ٨٨ من العرض الشمالي

اي لم يبق بيننا وبين القطب سوى درجتين . وكان الجوّ حسن الحظ صافياً ولكن لم نلبث بضع دقائق حتى اخذ الثلج في السقوط

وفي الساعة العاشرة والنصف اكتنفنا ضباب كثيف تقلص بعض ما فيه من بخار مائي على قطع البلون المعدنية وشدة البرد لم يلبث ان تحوّل جليداً ثم زاد تكوّن الجليد فغطى غشاء البلون الخارجي وهو من النسيج المتين وغشى الواح السلولويد التي وضعت على النوافذ فلم تتمكن من رؤية ما في الخارج . فارتفعنا الى علو ٢١٣٠ قدماً فلم تتحسن الاحوال الجوية فارتفعنا ايضاً الى علو ٣١٦٠ قدماً الى ما فوق الضباب

وفي الساعة الحادية عشرة والربع كنا لا نزال على درجة ونصف درجة من القطب ولكن الضباب كان لا يزال كثيفاً . على انهُ لم تمضِ عشرون دقيقة حتى اخذ الضباب ينقشع وصار في امكاننا ان نلقي نظرة على البحر المتجمد تحتنا . على ان غيوماً مرتفعة كانت تحجب عنا وجه الشمس . ولما دوّنا الارصاد في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين مساءً — اي ربع ساعة قبل منتصف الليل — كنا على ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر ودرجة الحرارة ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

ها نحن نقترب رويداً رويداً من القطب وتحقيق الغاية التي قضيت اشهراً اشتق واجهد في سبيل تحقيقها على قاب قوسين منا او ادنى . شعرت ان الفرح يستخفني فناديت احد رجالي — الساندريني — وعهدت اليه في ان يفتح الصندوق الذي حفظنا فيه علمنا الايطالي وان يربطهُ برمح مثقل من احد طرفيه حتى اذا رميناهُ فوق الجليد غرز في الارض

القطب

في الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين من صباح ١٢ مايو ثبت لنا من رصد الشمس اننا فوق الدرجة تسعين من العرض الشمالي اي فوق القطب الشمالي تماماً

نزلنا بالبلون الى علو ٧٠٠ قدم وخفضنا حركة المحركات وتقدم امندسن فرمى العلم النروجي اولاً وتلاهُ الزورث فرمى العلم الاميركي . ثم جاء دوري فنشرت العلم الايطالي ولما مددت يدي من النافذة لارميهُ اصابهُ الهواء فاختلج وخفق في يدي كأنهُ كائنٌ حيٌّ . رميتهُ فمزق مشدّاً ولكنهُ علق باحد الحبال فمددت وخلصتهُ فنزل الى الارض لفة واحدة ولكنهُ لم يكد يستقر هناك حتى نفخ فيه الهواء فتموج . تبعتهُ بنظري لان فيه معقد آمالنا وهو علم قديم خفق مدة سنتين من مقدم « النورج » تحت

سماء ايطاليا . وكان موسوليني قد اهدى الينا الصندوق الذي حفظناهُ فيهِ . وبعد رمي العلم الايطالي اتبعتهُ بالعلم الخاص بمدينة رومية ثم بوثيقة مكتوبة على الرق من قبل الجمعية الجغرافية الملكية الايطالية ثم بشارة نادي الطيران الايطالي ثم بالعلم الخاص بهالنا وفي النهاية بعلم اهدتهُ اليَّ الجمعية الفاشستية في بلدة غروتي ذي كاسترو

ولما انتهينا من ذلك اسرعنا حركة المحركات واتجهنا الى ما يلي القطب من المجاهل وارسلت من متن البلون رسالة لاسلكية الى السنيور موسوليني انبأتهُ فيها اننا بلغنا القطب سالمين

انقشع الضباب ولكن السماء ما زالت ملبدة بالغيوم والارض تحتنا سهل واسع من الجليد تخترقهُ الحزون وتنتشر منهُ القطع الجليدية المحدّدة كاثباب الليث وكل ذلك لا اثر فيهِ للحياة . فوق هذا السهل القاتم الحزين سرنا سبع ساعات ونصف ساعة لا تطالعنا شمس ولا يؤنس وحدتنا وحش او طير . وفي الساعة التاسعة اخذ الضباب يتلبد من جديد وكان كثيفاً يحجب عنا رؤية البحر المتجمد تحتنا الاَّ في فترات قليلة . فارتفعنا الى علو ٣٠٠٠ قدم وسرنا بالبلون فوقهُ وكان نور الشمس يلقي ظل البلون على الضباب كأنهُ بحر من القطن المندوف وكأن الطبيعة نفسها كانت تحاول حينئذٍ ان تحجب عن ابصارنا تلك المنطقة العاصية التي لم يرُدْها انسان من قبل

لم نلبث طويلاً حتى اخذ الجليد يتكون على كل اجزاء البلون الخارجية لانهُ رغماً عن ارتفاعنا كنا كثيراً ما نمرُّ في الضباب فيتقلص بخارهُ الماثي على اجزاء البلون فيبرد فيصير جليداً . ورغماً عن الخطر الذي كان يحيق بنا من تكوّن قطع الجليد لم ينسنا الا الاعجاب بروعة المنظر وجماله . ان الجليد يغطي كل جزء من اجزاء البلون الخارجية والاسلاك والبوصلة الشمسية والقوارب الصغيرة المتدلاة ومعدات المحركات والممرّ بين المحرك الايسر والمحرك الايمن وتتدلى منها كلها قطع من الجليد كانت ماء متقطراً فاصابها البرد وهي تتقطر فجمدت

ولما كانت سرعة البلون تقارب خمسين ميلاً في الساعة كان ضغط الريح على جوانبهِ كافياً لان يحطم بعض هذه القطع الجليدية ويدفعها في الفضاء فيصيب بعضها غشاء البلون وفي الساعة الثانية بعد الظهر انطلقت احدى هذه القطع الجليدية كالرصاص فاصابت الغشاء واحدثت فيهِ خرقاً كبيراً ، فخالجنا الخوف بان تندفع قطعة اخرى تمزق الغشاء الخارجي ثم تمزق الاكياس التي تحتوي على الهدروجين

ولم نلبث ان اضطررنا ان نهبط بالبلون لان الضباب اخذ يرتفع وصار متعذراً علينا ان نطير فوقهُ فسرنا بضع ساعات لا نرى ما تحتنا ولا ما امامنا وكنا من حين الى آخر نتقي بهبّة من الثلج المتساقط . ولما هبطنا الى الف قدم فوق سطح البحر صار في امكاننا ان نرى سطح البحر المتجمد . وبقينا كذلك الى ان وصلنا الى شواطئ الاسكا طائرين تحت ملاءة من الضباب على ارتفاع يتراوح بين ٧٠٠ قدم والف قدم عن سطح البحر

كان اليوم الثاني من مبارحتنا لسبتسبرجن حافلاً بالقلق والخطر لانهُ ثبت لي انهُ اذا الطلقت احدى القطع الجليدية ومزقت الفضاء الخارجي ثم الاكياس التي تحتوي على الهدروجين لم تتمكن من البقاء في الجوّ فتضطر الى النزول على سطح البحر المتجمد مع ما في ذلك من الخطر وحينئذٍ يتعرض الايطاليون من رجال البعثة لمخاطر جمة لانهم لم يتعودوا السير البطيء الطويل فوق الجليد كرجال امندسن الثروجين

فلما اعلن الضابط الواقف في برج المراقبة انهُ يرى امامهُ ارضاً يابسة استولى عليَّ الفرح واستخفني السرور وادركت للمرة الاولى في حياتي ادراكاً صحيحاً ما شعر به كولمبوس ورجالهُ حين رأوا اليابسة بعد سفرهم الشاق الطويل عبر الاوقيانوس الاتلنتيكي

وهذه الارض التي اكتحلت عيوننا بمرآها عند الافق هي ارض اميركا ؟

العالم الجديد

في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من صباح اليوم الثالث وصلنا الى شواطئ الاسكا . فاتجهنا الى اليمين وسرنا محاذين للشاطئ عازمين ان نبقى سائرين حتى نعثر على قرية من قرى الاسكيمو على مضيق بيرنغ (وهو المضيق الذي يفصل بين قارتي اميركا الشمالية وآسيا) وبعد مرور ساعة شاهدنا في احدى القرى رجال الاسكيمو ينظرون الينا وقد اخذتهم الحيرة . ترى ماذا قالوا عن هذا الطائر الغريب قادماً اليهم من الاصقاع الشمالية يهدر هديراً ؟ لقد بلغني فيما بعد انهُ حين وصولنا الى قرب حيث نزلنا الى الارض عدا احد اطفال الاسكيمو الى ابيه وقال لهُ : « ابتاه لا تقتلون بندقيتك وتصطادها » ذلك لانهُ ظن « النورج » نقمة طائرة . وظن بعضهم ان البلون حوت كبير واعتقد شيوخهم انهُ الشيطان بنفسه جاء مجسماً

وبعد ما سرنا نحو عشرين دقيقة وصلنا الى بلدة واينرايت وهي محطة لصيد

حيوان الرنة . فلو شئنا لكنا نزلنا الى الارض هنا واذعنا الانباء بان رحلة التورج القطبية قد تمت على خير ما تم هذه الرحلات . ولكن الشعور بالخطر كان قد زال ، والفرح بالنجاح كان قد استخفنا لمغامرة اخرى فقررنا ان نواصل السير الى « نوم » رغماً عن ان رجالنا القائمين على مراقبة المحركات وادارتها كان قد انقضى عليهم يومان وليلتان لم يأخذ الكرى بمعاقد اجفانهم

كنا قد اجتزنا ٢١٠٠ ميل من سيبسبرجن الى وايتريت فظهر لنا أن المسافة الباقية وهي ٦٢٠ ميلاً ليست شيئاً يحسب لهُ حساب . ولكن لا استطيع ان اتبسط في وصف هذه المرحلة الاخيرة من رحلتنا لما تنازعها من خطر ، اذ كلما حاولت ان اعود اليها بذاكرتي ارتجف هولاً واسى

ذلك اننا لما وصلنا الى مضيق بيرنغ لقينا فوقهُ زوبعة عنيفة لم نعلم بها مقدماً لان آلتنا اللاسلكية كانت قد تحطمت في اليوم السابق . وقبل ذلك هبت لنا ريح شرقية توسمنا في هبوبها خيراً لانها كانت تهب في الجهة التي كنا قاصدين اليها . ثم دخلنا في حجاب من الضباب الكثيف فسرنا ساعات متوالية لا نرى شيئاً ونحن في كل دقيقة عرضة للاصطدام باكمة او جبل ويقينا كذلك تقاذفنا الطبيعة الثائرة آناً فوق مفازات الجليد الاسيوية وآناً فوق مياه مضيق بيرنغ المتلاطمة الامواج ثم فوق جليد الاسكا الى الساعة الثانية والنصف من صباح ١٤ مايو . وفي كثير من الاحوال نجونا بعجبة من الاصطدام بالجبال

وفي الساعة الثانية والنصف اكتشفنا الطريق المؤدي الى نوم فسرنا محاذين للشاطىء تحت الضباب معتقدين اننا لا بدَّ واصلون الى نوم ان لم يحدث ما ليس في الحسبان

شعرت ان الاعياء قد اخذ مني كلَّ مأخذ لانهُ كان قد انقضى عليَّ ثلاثة ايام منذ ما برحنا سبيسبرجن لم انل نصيباً من الراحة وكانت الساعات العشرون الاخيرة حافلة بكل ما يقلق البال ويستدعي اليقظة والانتباه لكثرة المخاطر التي تعرضنا لها . فاقترحت بعض رجالنا حينئذٍ ان اجلس في كرسي كنا قد اخذناهُ معنا فجلست وقد استولت علي غيبوبة . ولم اكد اجلس حتى ناداني لارسن قائلاً : لقد اقتربنا من نوم . ولا بدَّ ان نصلها بعد نصف ساعة

ولكني بقيت في الكرسي الى الساعة الرابعة والنصف صباحاً فقمت من الكرسي

حينئذٍ ارتح كانسكران لاني لم انل نصيباً كافياً من الراحة. كان البرد شديداً والبحر تحتنا قاعاً تارّاً والجو فوقنا اغبر ادكن متلبداً في جهته الشمالية بغيوم سوداء والبلون تتقاذفهُ الرياح كأنهُ كرة الصولجان

فناديت الساندريني «اعدَّ الحبال للنزول الى الارض» حاسباً اننا اقتربنا من نوم وفيما كان ينفذ هذا الامر وزنت في عقلي المصاعب الجمة التي تعرض للنزول هناك. كان اصحاب الامر في نوم ينتظروننا اذ وصلهم تلغراف من سبتسبرجن بقيامنا وكانوا قد اعدوا كل ما يلزم لنزول البلون سالماً الى الارض ولكن النزول محفوف بالخطر لاسيما والريح تهب والرجال غير متمرنين على حركات البلون حين نزوله الى الارض

وكان الجوّ يزداد تجهماً والسماء تلبداً بالغيوم والارض تحتنا صورة بليغة للاقفار والعقم وكانت «نوم» لا تزال بعيدة عنا. ذلك ورجال البعثة قد اخذ منهم الاعياء كلَّ مأخذ فرأيت من الجنون ان نستمر في رحلتنا غير عابئين بالعناصر الثائرة

كانت دقيقة حافلة بالخطر لاننا اذا تأخرنا عن الوصول الى قرار حازم فقد نتعرض للاصطدام والموت فيتحول فوزنا الباهر الى مأساة مفجعة. لذلك قرّرت ان النزول الى الارض في الحال امرٌ لا مفرَّ منهُ قبل ان تفقدنا العاصفة السيطرة على تسيير البلون

وهكذا كان. نزلنا الى الارض سالمين في بلدة تلر بالاسكا وعدد سكانها ٥٥ نفساً كلهم من الاسكيمو بعد ما اجتزنا في ثلاثة ايام وثلاث ليال ٣٣٠٠ ميل برّي وكان لا يزال معنا ٩٠٠ رطل من البنزين وكان السماء ثارت علينا لتمنعنا من اخضاع عناصرها والتقدم الى الامام ولكن الارض خنت علينا حتو الام الرؤوم واستقبلتنا ابلغ استقبال

على ان العاصفة بقيت ثائرة فداخلني الخوف على البلون ان تتقاذفهُ العاصفة فتحطمهُ وتفكك اوصاله فبدأنا للحال في تفكيكه نحن فافرغنا ما فيه من الهدروجين ونزعنا آلاته ومحركاته ونقلناها الى احد البيوت القريبة

رجل واحد من كل رجال البعثة كان قد راقب هذا البلون يوجد من العدم وتعوّد ان يحبهُ كائناً حيًّا، ثم سار فيه يُقاوم العناصر صابراً متقدماً في رحلة طولها ٨٥٠٠ ميل. ما كان اقساني حينئذٍ وانا اديل من الجار بضربة قاضية في ساعة ضعره المين!

وهكذا انتهت رحلتنا القطبية الجوية

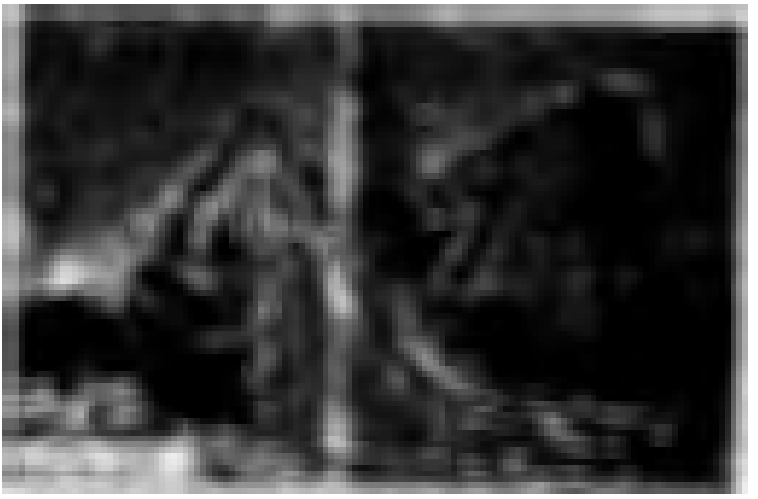

البلون نورج يمد اقراغ هـ-روجين ثه بالاسكا

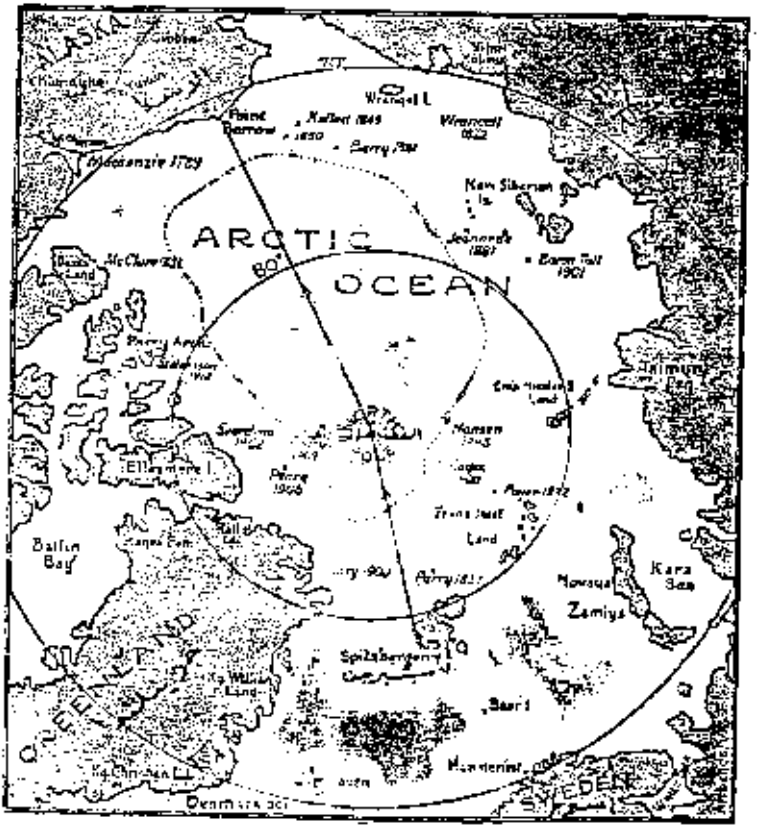

الخط الذي طار فوقه البلون نورج من سبتسبرجن الى شاطيء الاسكا

امام الصفحة ١٩٨